الشيخ جابر الشيخ عبد الحسين الكاظمي

١٢٢٢- ١٣١٢هـ

١٨٠٥ - ١٨٩٤م

الشيخ جابر (محمد جابر) بن الشيخ عبد الحسين بن عبد الحميد المعروف بحميّد بن جواد الربعي، الكاظمي.

وكنيته أبو طاهر، ويكنى أيضا بأبي النوادر، ويلقب بالنادرة. إلى أن ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار جد النبي (ص). وهو القائل فيهم من أبيات:

وانـي مـن ربيعـة غيـر أنـي ربــيعهم إذا ذهــب الربيــع

ولد في الكاظمية سنة ١٢٢٢هـ. وأمه السيدة الجليلة العلوية هاشمية بنت السيد جواد البغدادي. قال السيد الأمين في الأعيان: "كانت جليلة معظّمة مقدّسة، عابدة زاهدة متهجدة، يُحكى أن صاحبَيْ الفصول والجواهر كانا إذا جاءا لزيارة الكاظمين عليهما السلام، يزورانها في دارها لجلالتها".

وقد ذكر المترجم له في مقدمة ديوان شعره (سلوة الغريب واهبة الأديب) مختصر نسبه وأدبه ونبذة من طرائفه وظرائفه. قال بعد شرح نسبه: "كان هذا القن ولوعاً بالشعر في زمن الطفولية وحافظا لكثير منه. حفظ من المعلقات، وهو لم يفصح النطق من الأفواه لا من الكتب، ولما ترعرع صار إذا يتلى عليه شعر غير موزون أتمه من عنده وصيّره موزونا. ولما صار ينظم الشعر ويتكلم في فنون الكمال، صار يضبطه تمام الضبط، ولا ينساه لما وهبه الله عز وعلا من شدة الحافظة وحدة الذهن، هذا في أيام شبابه إلى ان ابتلي بالعيال. ومع ابتلائه اذا التفت إلى عبارة وأراد حفظها لم تعسر عليه، ولم يتجاوز المرة والمرتين أو الثلاث واكتفى من فنون الكمال في قليل من الزمان. وإذا ذكر لديه المبتدا من كل مقصد أو من الأغلب عرف منتهاه، ولم يأخذ الشعر ولا غيره من معلم إلا القليل من بعض الفنون. ساح في البلدان وعاشر الملوك وأهل العرفان، واطلع على كل إساءة للزمان وإحسان، وعرف الأمور وجرّب تصاريف الدهور، وكابد الشدائد وقاسى النوائب، ولاقى نعيم الدهر وبؤسه والبوائق في ذهن الدهر غير مغروسة. ولم يزل لله شاكرا، وعلى البلاء صابرا، والحمد لله، وأول سياحته إلى فارس وهو ابن عشرين.

ومال طبعه إلى نظم الشعر الفارسي، فبرع فيه وفي رسم الخط الفارسي على وجه لم يسبقه إليه أحد من العرب، ولا لحقه. أما في الرسم فهو مجيد في ستة أقلام منه. وقد وصل هذا القن إلى ما وصل من دون تربية لأنه يتيم لم ير أبا".

قال السيد في التكملة: "كان هذا الشيخ من أفاضل علماء الأدب وأجلّاء شعراء عصره، مع ورع وتعفف وتقوى وتنسك، لم يُر في الشعراء بورعه وتقواه وتدينه. وكان شديد المحبة لأهل البيت، وهو صاحب تخميس هائية الازري. فلو لم يكن له إلا هذا التخميس لكفاه شرفاً وفضلاً وأدباً ونبلا. وكان (رحمه الله) من أهل الفضل في جملة من العلوم غير علوم الأدب، كالكلام والتفسير والحديث والتاريخ. لم يكن أحد أحسن منه في محاضرته ومحادثته. وكان لي معه رحمية، لأنه خال والدتي".

وقال الشيخ راضي آل ياسين: "وأما شعره العربي الموجود في أيدينا، فهو لا يزال متبعثراً في أوراق مشتتة، لا يجمعها جامع، ولعل أغلب ما فيه لا يدل على مرتبة عالية في شاعرية ناظمه - كما هو المشهور عنه- والسبب في ذلك أمران؛ أولهما انه كان لا يعتني بتهذيبه كما يليق....، وثانيهما ان الشعر الذي بأيدينا كله مما أصابه التغيير والتبديل أيام كان ناظمه - صاحب العنوان- غير مستقيم الذاكرة لمرض لحقه في ثلث عمره الأخير. وعمدة مرضه اعتقاده بان الشيخ الكبير، الشيخ محمد حسن آل ياسين هو الإمام المنتظر".

توفي في الكاظمية في السادس والعشرين أو السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣١٢هـ. ودفن في الحجرة الثالثة في الجدار الشمالي، يمين الداخل إلى الصحن الكاظمي من الباب الواقع في الزاوية الشرقية الشمالية (الباب الفرهادية).

قال الشيخ محمد السماوي في أرجوزته صدى الفؤاد[١]، ومجموع التاريخ (١٣١٣)، والصحيح ما ذكر أولا:

وكالأديب جابر الشهير بالكاظمي الشاعر النحرير
فقد أتى الأئمة الكراما فيما أجاد بهم نظاما
فأرّخوا "قد غاب جابر" كما قد أرّخوا "جابر وفى عظما"

وكان له ولد فاضل اسمه الشيخ طاهر، توفي في حياته، ولم يبق له غير بنات وذريته من بناته لا غير[٢].

---

[١] صدى الفؤاد: ٧٠.

شعره:

ورد في موسوعة البابطين في وصفه: " شاعر شغفه حب آل البيت حتى شغله عما سواه، فملأ دنياه، كما استولى على لغته، وقاد صياغته، وشكل معارفه وحدد معالمه. نوَّع في الموضوع، وفي الممدوح، لينتهي القصيد إلى ذات الغاية التي لم يتجاوزها بصره ولم تدرك غيرها بصيرته، يحمل شعره إمكانات الفحولة بما يبدي من ثراء المعجم، وغزارة المعرفة، وندرة التصور، ولكن حبس الموهبة في الموضوع الواحد - مهما اتسع- يصيب القصيدة بالتصلب".

جمع شعره وحقق ديوانه وطبعه الشيخ محمد حسن آل ياسين، ثم استدرك عليه، ونشر ما عثر عليه من شعره بعد طبع الديوان، في كتابه شعراء كاظميون (الجزء الأول: ١٨٥- ٢١٣، والجزء الثالث: ١٥٩-١٦٦).

كساه الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء عباءة فاخرة، فأنشأ ارتجالا:

ان خير الورى محمد من في ... مثله بعده عقمن النساء
شملتني منه العبا فحبتني ... بفخار يدوم تلك العباء
انا من أهلها وقد شملتني ... نسبة حيث جدتي الزهراء

ومن شعره في ملحمة الطف:

إذا ما ذكرتُ صريعَ الطفوف ... غدا يصرعُ الرزءُ قلباً جزوعا
نضى الروحَ في الحربِ منه فتىً ... تردّى من الصبرِ فيها دروعا
هوى الدينُ لما هوى في الثرى ... وقد كان للدين حصناً منيعا
أرى رأسَه وهو سرُّ الإله ... برأسِ سنانٍ أذيعا
تقولُ له زينبٌ والدموعُ ... نجيعٌ على من تردّى نجيعا
دعِ النومَ فوق الثرى والقرارَ ... وأبدِلْ بسيرِك فينا الهجوعا
بروحيَ ثاوين فوق الثرى ... غدت كالأضاحي فأبدت خضوعا

---

(٢) من مصادر ترجمته: أدب الطف: ٨/٨٦-٨٨، الأعيان: ٤/٤٠-٤٥، أعلام العراق الحديث: ١٩١، تخميس الازرية: المقدمة، تكملة أمل الآمل: ٢/٢٤٢-٢٤٧، ديوان الشيخ جابر الكاظمي، شعراء بغداد: ٢/٢١٦-٣١٥، شعراء كاظميون: ١/١٨٥-٢١٣، الطليعة: ١/١٦٩-١٧٤، معارف الرجال: ١/١٤٧-١٥٠، النفحات القدسية: ١٠٥-١٠٦، نقباء البشر: ١/٢٧٤-٢٧٥.

ضــلالاً غــدا الرشــد مــن بعــدهم ومســتعذبُ العــيشِ سُــماً نقيعــا

ومن شعره في الإمامين الكاظمين (عليهما السلام):

أجنــانٌ للعــينِ لاحــت عيانــا أم سـماءٌ تسـمو السـما أركانـا
أم هــي الكعبــة التــي بعلاهــا أصــبحَ المجـدُ كـالعلى ولهانـا
قـد تسـامت إلـى محـلٍ تمنّـى لــذراه نســرُ الســما طيرانــا
بـل هـي الروضـة التـي تتمنـى روضةُ الخلدِ من ثراها مكانا
روضـة ضمَّتْ الوجود جميعاً وأظلّــتْ بظلّهــا الأكوانــا
طـور موسـى هذا وفيـه تجلَّـى للعيــونِ النــور القــديمُ عيانــا
لـم يـزل للمـلا محـط رجـاءٍ فيــه تُعطــى الأمــان والإيمانــا
فلتعفِّــر ملائــكٌ وملــوكٌ فــي ثــراه الجبــاه والتيجانــا
قــد تســامى بــالنيرين مقامــا دونــه النيّــران فضــلاً وشــانا
وإمــامين فيهمــا يــوم حشــرٍ مــن عـذابٍ نـالَ الأنـامُ أمانـا
بهمــا عاطــلُ الوجــود تحلَّــى إذ تجلَّــى ظلامــه وازدانــا
بمعاليهمــا الوجــود جميعــاً لـم يحـطْ واللسـان يعيـا بيانـا

ومن تخميسه للقصيدة الأزرية[٣]:

أرســـل اللهُ ســـيد الرســـل طـــرّاً
بالهــدى والشــيطانِ يُعبــدُ جهــراً
ومــذ الحــقّ شــقّ للبعــث فجــراً

لــم يــرَ الله للرســالة أجــراً غيـر حفـظ الـوداد فـي قرباهـا

قــد أغــاظوا لســيّد الرســل صــنواً
حـين رضّـوا مـن فـاطم الطُهـرِ عضـواً
ولَكَــم بثــت المهــيمن شَــكوى

فدعت واشتكت إلـى الله شـجواً والرواسـي تهتـزّ مـن شـكواها

[٣] تخميس الازرية: ١٠٧-١٠٨ و ١١٠ و ١١٤.

حـــــــاجَجتهم بســـــــنَةٍ وكتـــــــابِ
أفلَجـــــــتهم بحكمـــــــةٍ وصـــــــوابِ
حـــــين جـــــاءت وقلبُهـــــا بالتهـــــابِ

تعِـظ القـومَ فـي اِتـمّ خطـابِ حكـت المصـطفى بـه وحكاهـا

آلأيّ الأمـــــــور تَجهـــــل قـــــدراً
بنـــتُ خيـــر الـــورى فتُجهـــل قبـــراً
أم لأي الأمـــــور تُظلـــــم جهـــــراً

ولأيّ الأمـــور تَـــدفن ســـرّاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها